صفات المنافقين التعبدية من خلال سورة التوبة

د. علي محمد عبد الرحمن باكرمان *

الملخص:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فهذا بحث في المنافقين مختص بالحديث عن جانب من الجوانب المتعلقة بهذه الفئة الخطرة في المجتمع المسلم، ألا وهو بيان بعض صفات المنافقين التعبدية الظاهرة وإبرازها من خلال سورة التوبة.

ولكي يتحقق هذا؛ قسمت البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، أما المقدمة: فبينت فيها أهمية البحث في هذا الموضوع، وسبب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة فيه. وخُصص المبحث الأول لبيان الجانب اللغوي للنفاق، وبيان أنواعه وخطورته. وتكلم المبحث الثاني عن صفات المنافقين التعبدية الظاهرة في سورة التوبة، وهي: الكسل في إتيان الصلاة، والبخل والشح وكراهية الانفاق في سبيل الله، وترك الجهاد في سبيل الله والتثاقل عن القيام بأمره، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف. وختم البحث بجملة من النتائج، وفهرس المصادر والمراجع التي استفاد منها الباحث في بحثه.

الكلمات المفتاحية: صفات، المنافقون، سورة التوبة.

* أستاذ التفسير المساعد كلية التربية – المهرة.

The Devotional Attributes of Hypocrites on the Basis of Surah Al-Tawbah

Abstract:

This research is about hypocrites and has been devoted to talk about an aspect related to this perilous category among the Muslim society. It has been focused on illustrating and highlighting some of the salient devotional attributes of hypocrites on the basis of Surah Al-Tawbah.

In order to achieve this, the researcher has divided the research into an introduction, two sections, and a conclusion. The introduction has presented the significance of the research, the rationale of the selection, the objectives of the research, and the previous studies relevant to it. The first section was devoted to the manifestation of the linguistic aspect of hypocrisy, and the disclosure of its types and peril. The second section has dealt with the devotional attributes of hypocrites revealed in Surah Al-Tawbah, namely, indolence in performing prayers, parsimony, deficiency, detestation in disbursing for Allah's sake, desisting from jihad for the sake of Allah, slackening in carrying out his command, commanding the abominable and forbidding the benevolence. The research has concluded with a set of results, and a bibliography that the researcher benefited from in his research.

Key Words: Attributes, Hypocrites, Surat Al-Tawbah

المقدمة:

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده؛ ليكون للعالمين نذيرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فقد ذكر المولى سبحانه في أوائل سورة البقرة أصناف الناس، وأنهم على ثلاثة أصناف، الصنف الأول: هم المؤمنون الصادقون، وهؤلاء هم الفائزون. والصنف الثاني: هم الكفار المعاندون، وهم الذين توعدهم الله بالعذاب الأليم. وصنف ثالث: وهم المنافقون وهم الذين توعدهم الله يوم القيامة بالدرك الأسفل من النار، وحذرنا منهم أشد التحذير حتى نأمن جانبهم ونتخلص من صفاتهم؛ لأنهم أساس كل بلاء، لذلك قال سبحانه فيهم: ﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ ﴾ [المنافقون: 4] لأجل هذا كله يجب علينا معرفة المنافقين للحذر منهم ومن صفاتهم كما هي في القرآن عامة وفي سورة التوبة على وجه الخصوص.

وقد كشف القرآن الكريم في عدد من سوره المباركة صفات المنافقين، وأظهرها لنا بارزة، ومن أكثر السور تجلية لصفات المنافقين سورة التوبة التي كشفت عن كثير من صفاتهم حتى قال فيها ابن عباس – رضي الله عنهما-: «هي الفاضحة ما زالت تنزل: ومنهم ومنهم، حتى ظنوا أنها لن تبقي أحدا منهم إلا ذكر فيها»[1].

ولما كانت هذه السورة بهذه المكانة في بيان صفات المنافقين المتنوعة والمتعددة من صفات عقدية، وصفات تعبدية ظاهرة، وصفات خُلقية.. فقد وقع اختياري على الصفات

التعبدية لهذا الصنف من الناس وجعلت بحثي بعنوان: (صفات المنافقين التعبدية الظاهرة من خلال سورة التوبة).

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في ما تحدثت عنه هذه السورة المباركة من الحديث عن النفاق والمنافقين حتى كاد الحديث أن يكون كله عن المنافقين، كذلك بيان كيفية التعامل مع المنافق، فالمنافق فرد من أفراد المجتمع المسلم، وهو في الوقت ذاته عدو داخلي مستتر، بخلاف العدو الخارجي فهو واضح وظاهر المعالم، ولذا فالتعامل مع المنافقين يحتاج إلى مزيد عناية ودقة وأخذ الحيطة والحذر، وكذلك ومراعاة جوانب عديدة ترتبط بالمصالح العامة.

سبب الاختيار:

الرغبة والكشف عن صفات المنافقين والبحث عنها في سورة التوبة وإبرازها، وذلك لخطورة النفاق على المجتمع وعلى صاحبه، وخاصة بأن صفات المنافقين تنوعت وتعددت في هذه السورة. أضف إلى ذلك انتشار النفاق والمنافقين في زماننا لكثرة الأعداء في الداخل الإسلامي وخارجه للمؤمنين الصادقين، وكذلك كثرة توافر وسائل التواصل المادية والمعنوية والنظرية منها والعملية على السواء، ومما ساعدهم هو الانفتاح العالمي الحاصل.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز وإظهار صفات المنافقين التعبدية من خلال سورة التوبة التي تعددت وتنوعت فيها صفات المنافقين.

الدراسات السابقة:

ذكر الله صفات المنافقين في مواضع كثيرة من كتابه، وقد درس بعض الباحثين بعض هذه الصفات، ومن هذه الدراسات التي وقفت عليها:

1- صفات المنافقين في ضوء سورة التوبة، أكاديمية التفسير، نادرة أحمد رياض.

والفرق بين دراستنا ودراسة الباحثة أنها تناولت كل الصفات في سورة التوبة العقدية والتعبدية والقلبية والخلقية والاجتماعية. ولكنها تناولتها باختصار وخاصة الصفات التعبدية فلم تبرزها إبرازًا شافيًا ولم تربط الآيات التي جاءت في صفات المنافقين التعبدية مع غيرها من الآيات في نفس السورة والتي ترتبط بها ارتباطا وثيقًا والتي من خلالها تظهر وتبرز هذه الصفات. فالباحثة قد تناولت في بحثها طريقة سرد النصوص، بخلاف طريقتنا فقد تناولناها بشكل موضوعي في اطار السورة.

2- صفات المنافقين في سورة التوبة، غسان عبد السلام حمدون.

وقد تناول الباحث صفات المنافقين في هذه السورة وقد أبلغها إلى اثنين وعشرين صفة ولكنه تناولها باختصار كبير جدًا فربما إن أطال عند صفة من الصفات بلغت قدر صفحة واحدة وأحيانًا يزيد عند بعض الصفات وأحيانًا يقل عن مقدار الصفحة.

3- أسباب النفاق وأساليب المنافقين في ضوء سورة التوبة، محمد بن سريع بن عبد الله السريع، أستاذ التفسير المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلة الدراسات الإسلامية.

والملاحظ من العنوان أن المؤلف خصصه في بيان أسباب النفاق وأساليب المنافقين ولم يتحدث عن صفات المنافقين التعبدية، وهذا بعيد عن دراستنا.

خطة البحث:

انتظمت خطة البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس على النحو الآتي:

المقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة.

المبحث الأول تعريف النفاق ، وأنواعه، وخطورته.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النفاق لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أنواع النفاق.

المطلب الثالث: خطورة النفاق.

المبحث الثاني: صفات المنافقين التعبدية الظاهرة. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الكسل عند قيامهم إلى الصلاة.

المطلب الثاني: البخل والشح وكراهية الإنفاق في سبيل الله.

المطلب الثالث: ترك الجهاد في سبيل الله والتثاقل عن القيام بأمره:

المطلب الرابع: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

الخاتمة وفيها أهم النتائج.

فهرس المراجع.

واللهَ أسأل التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل، وأن ينفع به كاتبه وقارئه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: تعريف النفاق ، وأنواعه، وخطورته

المطلب الأول: تعريف النفاق لغة واصطلاحًا

النفاق في اللغة:

اختلف أهل اللغة في أصل النفاق فقيل: إنه مأخوذ من النَّفق وهو السرب في الأرض يُستتر فيه، سُمي النفاق بذلك؛ لأن المنافق يستر كفره[2].

وقيل: إنه مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو باب جحره، فاليربوع يحفر له جحرًا ثم يسد بابه بترابه، ويسمى هذا المدخل (القاصعاء)، ثم يحفر له مخرجًا آخر حتى إذا بقي من التراب قشرة رقيقة تركها حتى لا يُعرف مكان هذا المخرج، ويسمى (النافقاء) فإذا أُتي من قِبل القاصعاء عدا فضرب النافقاء برسه وخرج منها وهرب، فكذلك المنافق يُظهر خلاف ما يبطن[3].

وإنما أشبه النفاق نافقاء اليربوع من حيث إنَّه في ظاهره أرض مستوية وباطنه حفرة قد أعدها اليربوع للتخلص وقت الحاجة، فاستطاع بهذا أن يخدع الصائد، فكذلك المنافق أظهر الإسلام وأبطن الكفر ليخدع المؤمنين بذلك.

وقيل: إنَّه مأخوذ من نافقاء اليربوع ولكن لا من جهة أن المنافق يُظهر خلاف ما يبطن ولكن من جهة أنه يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه[4].

وأكثر علماء اللغة على إنَّه مأخوذ من نافقاء اليربوع لا من النفق[5]. وهو الراجح؛ لأن النفق ليس فيه إظهار شيء وإبطان آخر كما هو الحال في النفاق.

وكونه مأخوذًا منه باعتبار أنه يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه؛ لأنَّ الذي يتحقق فيه الشبه الكامل بين النافقاء والنفاق وهو إظهار شيء وإخفاء شيء آخر إضافة إلى أنَّ المنافق لم يخل في الإسلام دخولًا حقيقيًا حتى يخرج منه.

النفاق في الاصطلاح:

والنفاق في الإسلام هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بهذا المعنى الخاص، وإن كان أصله الذي أُخذ منه في اللغة معروفًا[6].

المطلب الثاني: أنواع النفاق

لقد وردت النصوص بإطلاق النفاق على بعض الأعمال التي هي من جملة المعاصي، والتي لا تُخرج المسلم من دائرة الدين بإجماع المسلمين. كما جاءت بإطلاق النفاق على تلك العقيدة التي تخرج المرء عن الدين، والتي هي إظهار الإيمان وإبطان الكفر.

ومن هنا قال العلماء إنَّ النفاق ينقسم إلى نوعين:

أحدهما: النفاق الأكبر، وهو النفاق الاعتقادي، أي في أصل الدين، وهو من خرج من الإسلام، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وعامة الآيات القرآنية يقصد بها هذا المعنى.

والثاني: النفاق الأصغر، وهو النفاق العملي أي النفاق في فروع الدين، وهو دون الكفر، لكنه اختلاف بين السريرة والعلانية(7)، فمن أظهر أنه صادق أو موفٍ أو أمين، وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقًا، لا أن يبطن في قلبه كفرًا وشكًا وتكذيبًا يخفيه عن الناس، ويظهر إسلامًا لا حقيقة له وهذا النوع من النفاق أخبرت به. والأصل فيه ما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة وغيرهما من الصحابة – رضي الله عنهم – في ذكر آية المنافق. فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(8).

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(9).

فهذه كلها أعمال إذا كان فاعلها مؤمنًا بالله وحده، قد سلم اعتقاده مما يخرجه من الدين، فنفاقه نفاق أصغر، وهذه الخصال قد توجد في المسلم الصادق الذي ليس فيه شك، قال النووي عند شرح هذا الحديث: "وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقًا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار، فإن إخوة يوسف – عليه السلام – جمعوا هذه الخصال"(10). وهذا النفاق الأصغر هو النفاق الذي كان يخافه السلف على نفوسهم.

قال ابن أبي مليكة: "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه"(11)، قال ابن حجر: "والصحابة الذين أدركهم بن أبي مليكة من أجلهم عائشة، وأختها أسماء، وأم سلمة، والعبادلة الأربعة، وأبو هريرة، وعقبة بن الحارث، والمسور بن مخرمة. فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسن جماعة أجل من هؤلاء كعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماع وذلك؛ لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى رضي الله عنهم"(12).

فخوفهم كان من النفاق الأصغر لا الأكبر؛ لأنه لا يعقل أن يكون النفاق الذي خافه أولئك الصحابة هو إبطان الكفر، فإنهم يعلمون من أنفسهم أنهم لا يبطنون كفرًا، وقد زكاهم الله وأثنى عليهم، فهم يعلمون براءتهم من هذا النفاق المخرج من الإسلام، فتعين أن يكون مقصودهم النفاق الأصغر.

المطلب الثالث: خطورة النفاق

إنَّ خطر المنافقين على دولة الإسلام عظيمٌ، وإنَّ بلاءهم على المؤمنين جسيم، مع خفاء حقيقتهم، حيث يستترون بالإيمان فيكيدون للمؤمنين من مأمنهم، ويغدرون بهم بعد ما يظهرون لهم الأخوة والمودة، ولذا قال الله تعالى عنهم: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾[المنافقون: 4] ، والحصر في الآية لبيان أوليتهم في العداوة، ولهذا كان مصيرهم يوم القيامة أسوأ مصير في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم شر من الكفار الصُّرَح، فبلية المؤمنين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين؛ لأنهم يتخفون ولا يظهرون ما يعتقدون، يعملون في الخفاء، ويظهرون لباس الإخوان والأصدقاء فهم مستأمنون لا يحسب لهم حساب ولا يراقبون ولا يحترز منهم إلا القليل من المؤمنين، والعدو المخالط المداخل المساكن أخطر وأشد كيدًا من العدو الظاهر البعيد، فهم أخطر من الجيوش العسكرية، والانحرافات الفكرية؛ لأن أصحابها أعداء معروفون واضحون لا يقبل كثير من الناس أقوالهم(13).

وقد جاء عن رسول الله – ﷺ – قوله: « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أخافُ علَيْكُمْ بَعْدِي كُلُّ مُنافِقٍ عَلِيمِ اللِّسانِ (14)»(15).

وقد اعتبر عمر – رضي الله عنه – جدال المنافق بالكتاب من الأمور الثلاثة التي تهدم الإسلام، فعن زياد بن حُدير قال: قال لي عمر: «هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: قلت لا، قال: يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ، وَحُكْمُ الأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ»(16).

فالنفاق إفساد في الأرض؛ لأن المنافقين لا يتحلون بالإيمان الذي يمنع صاحبه من الوقوع في الكبائر والجرائم والضلالات والاستهانة بمكارم الأخلاق، فإذا شاع هذا السلوك المنحرف في المجتمع اختل نظامه وأصبح المنكر معروفًا والمعروف فيه منكرًا.

ولذا فإننا نجد أن أخطر المصائب في تاريخ الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا عن طريق المنافقين، ولا نكاد نرى عصرًا من عصور تاريخ الإسلام إلا ونجد للمنافقين فيه دورًا خطيرًا، فقد أفسدوا عقائد كثير من الناس، والمتتبع لجذور الانحراف العقدي في تاريخ المسلمين يجد المنافقين وراءه، ومن أبرز الأمثلة في ذلك فرقة السبئية التي وضع أسسها المنافق اليهودي عبد الله بن سبأ الذي أظهر الإسلام في عهد عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وأخذ يطوف البلاد الإسلامية ينشر معتقده، وقد لبَّس على العامة في زمن كان فيه كثير من الصحابة، حتى إن بعض أتباعه هددهم علي – رضي الله عنه – بالموت حرقًا إن لم يرجعوا عن هذه العقيدة الضالة، فأصروا وفضلوا الموت على الرجوع عن ضلالهم، وقد كان من نتيجة فتنة عبد الله بن سبأ مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان – رضي الله عنه –[17].

وكان سقوط بغداد مركز الخلافة الإسلامية العباسية سنة (656هـ) على يد المنافق الخبيث بن العلقمي الرافضي الذي تعاون مع التتار الذين قتلوا جميع من يقدرون عليه من الرجال والنساء والولدان والشيوخ والشبان حتى بلغوا مليون قتيل، وقد كان ابن العلقمي وزيرًا عند الخليفة المستعصم يُظهر الولاء والنصرة، ولكنه كان منافقًا يضمر الحقد على الإسلام وأهله، كاتب التتار وزيَّن لهم اجتياح بغداد، وكان ذلك بعد أن سرح الجند وصرف الجيوش عن بغداد حتى لم يبق منهم إلا عشرة آلاف ثم أرسل إلى التتار يسهل عليهم أمر اجتياح المدينة فقدموا وحدث ما حدث[18].

والأمثلة كثيرة جدًا، ولهذا كان الواجب التحذير من النفاق، وبيان صفات أهله، وكشف جهودهم في هدم الإسلام وخدمة أعدائه موالاتهم وتنفيذ مخططاتهم.

المبحث الثاني: صفات المنافقين التعبدية الظاهرة

المطلب الأول: الكسل عند قيامهم إلى الصلاة

الآية: قال سبحانه ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤].

إنّ المؤمن الذي استقر الإيمان في قلبه، وخالطته بشاشته يحرص على فعل أوامر الله وعلى فعل الطاعات، بل ويسارع ويسابق إليها، ويحزن إذا فاته شيء من الخير ويتحسر عليه. أما المنافق لشكه في دينه وإيثاره الدنيا على الآخرة، فإنه يتثاقل ويتكاسل عن فعل شيءٍ من الأوامر التي افترضها الله عليه.

فحال المنافقين أنهم لا يعملون شيئًا من الأعمال التي فرضها الله على المؤمنين على وجه التقرُّب بها إلى الله؛ لأنهم غير موقنين بمعادٍ ولا ثواب ولا عقاب، وإنما يعملون ما عملوا من الأعمال الظاهرة إبقاءً على أنفسهم، وحذارًا من المؤمنين عليها أن يُقتلوا أو يسلبوا أموالهم. فهم إذا قاموا إلى الصلاة التي هي من الفرائض الظاهرة، قاموا كسالى إليها، رياءً للمؤمنين ليحسبوهم منهم وليسوا منهم؛ لأنهم غير معتقدي فرضها ووجوبها عليهم، فهم في قيامهم إليها كسالى.

ولولا الناس ما صَلَّى المنافقون؛ لأنهم لا يصلون رغبة في مناجاة الله وعبادته بل ليراهم المؤمنون، كما أخبر تعالى في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:142]. وهذه ليست صلاة طاعة وإنما صلاة نفاق.

فهم يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة وأنهم مسلمون. وهي من باب المفاعلة، يري المرائي الناس تجمله بأفعال الطاعة، وهم يرونه استحسان ذلك العمل.

فالمنافقون إذا قاموا لأداء الصلاة قاموا متثاقلين؛ لأنهم لا يتحلون بالإيمان بالله حقًا، فليس عندهم ما يدفعهم إلى التلذذ بمناجاته، ويشبههم في ذلك ضعفاء الإيمان الذين يتخذون الصلاة عادة ولا يشعرون بالارتياح لها، بل يرونها ثقيلة على نفوسهم، فالشعور بالارتياح والأنس والسرور لأداء الصلاة من علامات قوة الإيمان وصدقه، أما الشعور بالضيق والمشقة عند أداء الصلاة فهو من علامات النفاق وضعف الإيمان. قال أبو حيان الأندلسي: في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤]. "ذكر السبب الذي هو بمفرده مانع من قبول نفقاتهم وهو الكفر، وأتبعه بما هو ناشئ عن الكفر ومستلزم له وهو دليل عليه. وذلك هو إتيان الصلاة وهم كسالى، وإيتاء النفقة وهم كارهون، فالكسل في الصلاة وترك النشاط إليها وأخذها بالإقبال من ثمرات الكفر، فإيقاعها عندهم لا يرجون به ثوابًا، ولا يخافون بالتفريط فيها عقابًا. وكذلك الإنفاق للأموال لا يكرهون ذلك إلا وهم لا يرجون به ثوابًا. وذكر من أعمال البر هذين العملين الجليلين وهما الصلاة والنفقة، واكتفى بهما وإن كانوا أفسد حالًا في سائر أعمال البر؛ لأن الصلاة أشرف الأعمال البدنية، والنفقة في سبيل الله أشرف الأعمال المالية، وهما وصفان المطلوب إظهارهما في الإسلام، ويستدل بهما على الإيمان، وتعداد القبائح يزيد الموصوف بها ذمًا وتقبيحًا"(19).

فالمنافقون يشهدون الصلاة مع الناس تقية من الناس ومصانعة لهم؛ ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يُرون غالبًا فيها كصلاة العشاء وقت العتمة، وصلاة الصبح في وقت الغلس، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلاَةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاَةُ الْعِشَاءِ، وَصَلاَةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَتُقَامَ ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لاَ

يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»[20]. وفي رواية أخرى لمسلم: «وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا » يعني صلاة العشاء»[21]. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: « كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الْإِنْسَانَ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ أَسَأْنَا بِهِ الظن»[22].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مَنْ سُنَنَ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»[23].

وقال الحافظ أبو يعلى: عن عبدالله قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- « مَنْ أَحْسَنَ الصَّلاَةَ حَيْثُ يَرَاه النَّاسُ، وَأَسَاءَهَا حَيْثُ يَخْلُو، فَتِلْكَ اسْتِهَانَةٌ اسْتَهَانَ بِهَا رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[24].

وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الماعون: ٤]. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره: "هم المنافقون كانوا يراءون الناس بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العارية بغضًا لهم، وهو الماعون"[25].

وقال عطاء بن دينار: "الحمد لله الذي قال ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ ولم يقل في صلاتهم ساهون"[26].

وقوله تعالى: ﴿ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ يحتمل أنهم يؤخرونها إلى آخر وقتها، أو يجمعون بين الظهر والعصر بغير إذن، أو بين المغرب والعشاء بغير عذر، أو يتكاسلون عن صلاة العصر حتى قرب غياب الشمس، أو ساهون عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها.

قال ابن كثير: "ولعله إنما حمله على القيام إليها مراءاة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو إذًا لم يصلِّ بالكلية"(27).

ويقول سيد قطب:" فهم لا يقومون إلى الصلاة بحرارة الشوق إلى لقاء الله، والوقوف بين يديه، والاتصال به، والاستمداد منه.. إنما هم يقومون يراءون الناس. ومن ثم يقومون كسالى، كالذي يؤدي عملاً ثقيلاً أو يسخر سخرة شاقة!.. فهم لا يتذكرون الله إنما يتذكرون الناس! وهم لا يتوجهون إلى الله إنما هم يراءون الناس. وهي صورة كريهة -ولا شك- في حس المؤمنين. تثير في نفوسهم الاحتقار والاشمئزاز، ومن شأن هذا الشعور أن يباعد بينهم وبين المنافقين وأن يوهن العلائق الشخصية والمصلحية.. وهي مراحل في المنهج التربوي الحكيم للبت بين المؤمنين والمنافقين "(28).

فالصلاة في الإسلام لها شأن عظيم، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي عماد الدين وقرة عين المؤمنين، ولكن المنافقين يزهدون في كل ما فيها من خير وبر، وإذا قاموا إليها قاموا إخفاءً لنفاقهم، فهي صلاة خالية من مناجاة الرب، ولا تحمل غير صورتها الشكلية الفارغة من الصدق والخضوع والحياة.

ومما يندى له الجبين ما وقع فيه كثير من المسلمين من تفريط في الصلاة وتضييع لحقها، وتأخير لوقتها، وتهاون في أدائها جماعة مع المسلمين، ولا يلقون لذلك بالًا ولا يعدونه خصلة من خصال النفاق.

ولذا ينبغي على المؤمن أن يتحرز من هذه الخصلة التي فيها ذم للمنافقين، وأن يُقبل إلى صلاته بنشاط وفراغ قلب وتمهل في فعلها، ولا يتقاعس عنها، فعل المنافق الذي يصلي على كره لا عن طيب نفس ورغبة.

المطلب الثاني: البخل والشح وكراهية الإنفاق في سبيل الله:

من السمات القبيحة التي اتسم بها المنافقون البخل والشح وكراهية الإنفاق في سبيل الله. وهذا البخل والشح منهم يرجع أصله إلى حرصهم المعروف على دنياهم وعاجل أمرهم، ولقد تكرر في كتاب الله ذكر شح المنافقين وتقرر من خلال ذلك التكرار حقيقة بخلهم وإمساكهم عن أي خير ونفع للناس.

فالمنافق من صفاته أنه شديد البخل قابض يده ممسك عن أي بذل متقاعس عن أي خير.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة: 54]. لأنهم يرون الإنفاق في سبيل الله مغرما، وتركه مغنما، فهم إن أنفقوا فبغير انشراح صدر وفي هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغي للعبد أن لا ينفق إلا وهو منشرح الصدر ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين[29].

ثم بيَّن جلا جلاله في آيات أخرى من السورة حال المنافقين وأنهم غير متعاونين في ذات أنفسهم، وفي جماعتهم فلا ينفقون في خير قط، والشح يستولي على نفوسهم، ولا يجعلون أنفسهم في وقاية منه[30]، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾[التوبة: 67]. تعبير عن الشح والبخل، والقبض ضد البسط، وقبض اليد غلها عن الإنفاق، فعبر عن عدم الإنفاق في موضعه بقبض اليد.

والحاصل أن في قوله تعالى: ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أربعة أقاويل: أحدها: يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، قاله الحسن ومجاهد. والثاني: يقبضونها عن كل خير، قاله قتادة. والثالث: يقبضونها عن الجهاد مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، قاله بعض المتأخرين. والرابع: يقبضون أيديهم عن رفعها في الدعاء إلى الله تعالى(31).

فالمقصود من الآية أن المنافقين يمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ويكفونها عن الصدقة، ولا ينفقون أموالهم في سُبل الخير التي تتطلب منهم الانفاق.

فالمنافقون يَضِنُّون بالمال، فلا ينفقونه في سبيل الله، وهذا لعدم إيمانهم ولذا لا يجتمع البخل مع الإيمان في قلب العبد، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ، وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا﴾(32).

ثم ذكر سبحانه بعد ذلك صورة أخرى من مواقف المنافقين حيث كان بعضهم يعاهد الله وينذر على نفسه إن آتاه الله من فضله ووسع عليه الدنيا بأن يتصدق ويخلص فلما حقق الله له أمنيته بخل وأخلف وعده. قال جلا وعلا ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [التوبة:75-76].

فالآيات دالة على أن من عاهد الله أن يفعل شيئًا ثم أخلف عهده أنه قد تخلق بأخلاق المنافقين، وأنه على خطر عظيم من أن يعاقب بالنفاق في قلبه جزاء له على إخلافه الوعد وكذبه. وهو سبحانه يحذر عباده من أخلاق المنافقين، ويحثهم على الوفاء بالعهود، وأن لا يحملنهم بخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله أن ينقضوا عهده في قلوبهم.

وقال سبحانه وتعالى واصفا بخلهم وكراهيتهم الجهاد بأموالهم، وأنفسهم ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٨١].

فنجد في الآية أنه سبحانه قدم كراهيتهم الجهاد بأموالهم على الجهاد بأنفسهم وهذا فيه دلالة على رسوخ هذه الصفة القبيحة فيهم.

هذه الآية كانت في غزوة تبوك حين كره المنافقون أن يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ميلاً منهم للدعة والراحة، وشحًا بالمال أن ينفقوه في طاعة الله؛ لأنهم لا يرجون ثوابه يوم الحساب لعدم إيمانهم به إيمانًا جازمًا(33).

وقال سبحانه وهو يبين حال فريق آخر من منافقي الأعراب: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: 98]. أي: ومن الأعراب قوم آخرون يعتبرون ما ينفقونه في سبيل الله غرامة وخسارة عليهم؛ لأنهم لا ينفقون ما ينفقونه طمعا في ثواب، أو خوفا من عقاب، وإنما ينفقونه تقية ورياء، ومداراة للمسلمين، لا مساعدة للغزاة، والمجاهدين، ولا حبا في انتصار المؤمنين. ففي الآية ذم للمنافقين وتهديد لهم وتحذيرهم بما ارتكسوا فيه من نفاق وكفر وشقاق(34).

فالبخل وعدم الانفاق في سبيل الله صفة متأصلة في المنافقين حذرنا منها المولى ونهانا أن نتصف بها. والواجب أن نتحلى ونتصف بصفة الكرم والسخاء والبذل في سبيل الله بالغالي والنفيس حتى نبتعد عن صفات المنافقين.

المطلب الثالث: ترك الجهاد في سبيل الله والتثاقل عن القيام بأمره

من صفات المنافقين التعبدية: عدم الخروج للجهاد، وهذا غالب أحوالهم، وقد يخرجون نفاقًا أو إرجافًا أو غير ذلك، وهذا في القليل النادر قال تعالى عن المنافقين ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: **٩٣**].

لقد كشف الله حال المنافقين بأنهم قوم ليس لهم نصيب من الإيمان بالله ورسوله، وليس عندهم روح للجهاد ولا دافع للتضحية، ولا ثقة بالله ووعده، لذلك لم يكن لديهم إلا أن يتخلفوا عنه، ويفتعلوا ويختلقوا الأعذار الواهية.

قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ أي لو كان لطلب العرض القريب، أي منفعة دنيوية، سهلة التناول وكان السفر قريبا سهلا لاتبعوك ولكن طالت المسافة، وصعب عليهم السفر فلذلك تثاقلوا عليك، وليس هذا من أمارات العبودية، بل العبد حقيقة هو المتعبد لربه في كل حال، القائم بالعبادة السهلة والشاقة، فهذا العبد لله على كل حال[35].

﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴾ أن تخلفهم عن الخروج أن لهم أعذرا وأنهم لا يستطيعون ذلك. ﴿ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ بالقعود والكذب والإخبار بغير الواقع، ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ والله يعلم أنهم كاذبون في دعواهم وفي أيمانهم هذه.

ومن أعذارهم ما قال عز وجل عنهم: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٤9].

ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية نزلت في الْجَدِّ بْن قَيْسٍ، وهو أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال ذات يوم وهو في جهازه، للجد بن قيس أخي بني سلمة: هل لك يا جدُّ العامَ في جلاد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله، أوْ تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رَجل أشدّ عُجْبًا بالنساء منِّي، وإني أخشى إن رأيت نساءَ بني الأصفر أن لا أصبر عنهن! فأعرض عنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقال: قد أذنت لك، ففي الْجَدّ بْن قَيْسٍ نزلت هذه الآية[36].

والقرآن الكريم يكشف حقيقة الذين يستأذنون من النبي – صلى الله عليه وسلم– حيث يصفهم بأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وهم في حالة حيرة وشك ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤٤]. فنجد الآية ميزت المؤمن عن المنافق، فالمؤمن متى ما أمر بالجهاد بادر إليه ولم يتردد ولم يتوقف، بخلاف المنافق فإنه يتردد ولا يقدم ويختلق الأعذار الكاذبة، ولذا كان التخلف عن الجهاد بدون عذر حقيقي من علامات النفاق.

ثم قال سبحانه في الآية التي بعدها: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: ٤5]. أي: إن الذين يستأذنونك في القعود والتخلف عن القتال في سبيل الله ليس لهم إيمان تام، ولا يقين صادق، فلذلك قلَّتْ رغبتهم في الخير، وجبنوا عن القتال، واحتاجوا أن يستأذنوا في ترك القتال؛ لانهم لا يزالون في الشك والحيرة[37].

فالمنافقون يختلقون الأعذار لترك الطاعات والعبادات وهذا دأبهم ومن صفاتهم، فهم لا يريدون ولا يحبون الخروج للجهاد وهو من أعظم القربات والطاعات عند الله، ودليل ذلك عدم الاستعداد والتأهب له، كما قال سبحانه:﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً ﴾ [التوبة: 46]. فلعلم الله بنفاقهم كره خروجهم فثبطهم وخذلهم؛ وذلك لأنهم لو خرجوا مع المسلمين ضروهم ولم ينفعوهم، فهم إن خرجوا كانوا في صف أعداء الإسلام والمسلمين.

فخروج المنافقين مع المسلمين لا يزيدهم إلا خبالا كما أخبر سبحانه: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ٤٧].

أي لا يزيدوكم بخروجهم إلا فسادًا وضرًا، واضطرابًا بإيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين، يخوفونهم بأعدائهم ويعظمون الأمور، فيخذلونهم ويضعفون شجاعتهم، فهم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم. ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ أي: مطيعون لهم ومستحسنون لحديثهم وكلامهم، يستنصحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم، فيؤدي هذا إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير[38].

قال ابن القيم: فلما تركوا الإيمان به وبلقائه، وارتابوا بما لا ريب فيه، ولم يريدوا الخروج في طاعة الله، ولم يستدعوا له، ولا أخذوا أهبة ذلك كره سبحانه انبعاث من هذا شأنه. فإن من لم يرفع به وبرسوله وكتابه رأسا ولم يقبل هديته التي أهداها إليه على يد أحب خلقه إليه وأكرمهم عليه، ولم يعرف قدر هذه النعمة ولا شكرها، بل بدلها كفرا. فإن طاعة هذا وخروجه مع رسوله يكرهه سبحانه فثبّطه لئلا يقع ما يكره من خروجه، وأوحى إلى قلبه قدرا وكونا أن يقعد مع القاعدين[39]. فالآية وضحت وجلَّت لنا أن عدم خروج المنافقين وتخلفهم عن الجهاد كان خيرًا للمسلمين؛ لأنهم لو خرجوا لأفسدوا عليهم أمرهم فأوقعوا بينهم الاضطراب، ولا يريد المنافق للمسلم إلا الضرر والفساد والبلبة من أجل التخذيل والتفشيل.

ومما جعل المنافقون يتركون الجهاد ويتثاقلون عنه هو خوفهم منه – الجهاد – فالخوف من صميم صفات المنافقين قال عزَّ شأنه: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤]. فكلما وقع أمر ظنوا أنه واقع بهم؛ وذلك لجبنهم وفزعهم، وضعف قلوبهم والريب الذي في قلوبهم.

ثم إنَّ المنافقين ليتهم توقفوا عن حد تخلفهم عن الجهاد فحسب، بل أخذوا يحرِّضون الناس على التخلف عن الجهاد، ويثبطون هممهم عنه، قال سبحانه: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ

بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ﴾ [التوبة: ٨١]. وقد نزلت هذه الآيات في المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك الذين كرهوا أن يجاهدوا في سبيل الله، وقعد بهم ضعف الهمة ومرض القلب، ومالوا إلى الدعة وآثروا الراحة، وبخلوا بأموالهم أن ينفقونها في مرضاة الله، وقد كانت هذه الغزوة وقت جدب وقحط وشدة من الحر حين طابت الثمار، فعظم على بعض الناس غزو الروم وأحبوا الراحة والدعة والتمتع بالثمار والإقامة في المساكن والمال والأهل، فشق عليهم الخروج للقتال(40).

والمراد من الآية أنَّ المنافقين فرحوا بسبب التخلف، وكرهوا الذهاب إلى الجهاد.

وقد كان هذا الفعل منهم – التخلف عن الجهاد – زهادة في الجهاد، وشكًا في الحق وإرجافًا برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه.

ولم يقتصر الأمر على فرحهم بأنفسهم، بل أغروا غيرهم بعدم الخروج، وقال بعضهم لبعض: لا تخرجوا للجهاد لأن غزوة تبوك في شدة الحر، وقد طابت الثمار والظلال(41).

ولهذا قال سبحانه بعد ذلك في رده عليهم:﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ أي أن نار جهنم التي تنتظر المنافقين أشد حرًا من هذا الحر الذي فروا منه لو يعلمون.

وقال سبحانه وهو يكشف خوفهم من الجهاد: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة: 86] ، يقول تعالى في بيان استمرار المنافقين على التثاقل عن الطاعات، وأنها لا تؤثر فيهم السور والآيات: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ يؤمرون فيها بالإيمان بالله والجهاد في سبيل الله. جاء أهل الطول يعني: أولي الغنى والأموال، الذين لا عذر لهم، وقد أمدهم الله بأموال وبنين، أفلا يشكرون الله ويحمدونه، ويقومون بما أوجبه عليهم، وسهل عليهم أمره، ولكن أبوا إلا التكاسل والاستئذان

في القعود ﴿ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ اتركنا نتخلف مع أصحاب الأعذار كالضعفاء والنساء والصبيان ومرضاهم وممن لا يقدر على الخروج في السفر. وسبب ذلك أنهم إذا وقعت الحرب كانوا أجبن وأخوف الناس(42).

وقوله تعالى: ﴿ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴾ [التوبة: 56].

يخبر الله تعالى نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، عن جزعهم وفزعهم وفرقهم وهلعهم أنهم يحلفون بالله الأيمان المؤكدة إنهم لمنكم، أي: من المؤمنين ولكنهم في الحقيقة كاذبون، فهم ليسوا من المؤمنين، ولكن فرقهم وخوفهم هو الذي حملهم على الحلف(43). ولذلك قال سبحانه في الآية التي بعدها: ﴿ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴾ [التوبة: ٥٧].

والخطاب في الآية هنا موجّه للنبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين يقرر به أن المنافقين يحلفون لهم بالله إنهم منهم وعلى ملتهم وهم في الحقيقة ليسوا كذلك، وإنما الذي حملهم على ذلك فزعهم وخوفهم. وأنهم لو وجدوا ملجأ يعتصمون به أو مغارات يختفون فيها أو مدخلا ما يجعلهم في أمان لسارعوا إلى ذلك تخلّصا من الموقف الثقيل عليهم. والخطر الذي يهددهم ويحملهم على النفاق والمراءاة(44).

المطلب الرابع: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف

ذكر المولى جل جلاله في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۘ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧]. أنواعًا وضروبًا من قبائح المنافقين، وقرنها بالوعيد الشديد، بما أعد لهم من الجزاء على ما كانوا يقترفون من الفساد والإفساد، ومن صفاتهم: أنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

قال أبو زهرة وهو يحكي حال المنافقين أنهم: يشجعون كل ما هو شر، ويمنعون كل ما هو خير، معروفهم منكر، ومنكرهم هو المعروف، وهكذا يقضى الله على بعض الجماعات الإنسانية بالشر، كما نرى الآن من منافقي عصرنا، فعدلهم ظلم وحريتهم اعتداء، وشوراهم استبداد(45).

إن صفة الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف من صفات المنافقين التي تزيدهم رجسًا على رجسهم، انسجامًا مع ما في قلوبهم من جحود لعناصر الإيمان، ولما تدعو إليه هذه العناصر من فعل للخيرات والصالحات، وترك المنكرات.

ولأن نفوسهم المريضة لم تعد ترغب في رؤية الخير يعمله الناس فهم يحبون أن يشيع الشر والمنكر بين الناس فهذا الذي تهواه نفوسهم ويشفي حقدهم وغيظهم على أهل الحق، وحتى يتساووا مع الناس في فعل القبائح ومع هذه الصفة الخبيثة لا ينفقون فيما يحبه الله فهم بخلاء في الإنفاق وفي فعل الخير وفي الأمر به والدلالة عليه.

قال ابن القيم: "فهم جنسٌ بعضه يشبه بعضًا، يأمرون بالمنكر بعد أن يفعلوه، وينهون عن المعروف بعد أن يتركوه، ويبخلون بالمال في سبيل الله ومرضاته أن ينفقوه، كم ذكَّرهم بنعمه فأعرضوا عن ذكره ونسوه؟ وكم كشف حالهم لعباده المؤمنين ليجتنبوه؟ فاسمعوا أيها المؤمنون: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(46).

ويقول سيد قطب وهو يفسر هذه الآية، ويبين وجه انحراف المنافقين: "المنافقون والمنافقات من طينة واحدة، وطبيعة واحدة. المنافقون في كل زمان وفي كل مكان. تختلف أفعالهم وأقوالهم، ولكنها ترجع إلى طبع واحد، وتنبع من معين واحد. سوء الطوية ولؤم السريرة، والغمز والدس، والضعف عن المواجهة، والجبن عن المصارحة. تلك سماتهم

الأصيلة. أما سلوكهم فهو الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، والبخل بالمال إلا أن يبذلوه رئاء الناس. وهم حين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف يستخفون بهما، ويفعلون ذلك دسًا وهمسًا، وغمزًا ولمزًا؛ لأنهم لا يجرؤون على الجهر إلا حين يأمنون"[47].

إن أهل النفاق رجالًا ونساء متشابهون في أخلاقهم وأعمالهم حتى كأنهم قد جمعهم إطار واحد.

﴿ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ﴾ والمنكر ما أنكره الإسلام وحذَّر منه، والمعروف ما استحسنه وأمر به، أي يأمرون الناس بالكفر بالله ورسوله وارتكاب المعاصي، وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله وفعل الطاعات، ومن ذلك اجتهادهم في تثبيط المؤمنين عن الجهاد في سبيل الله والتسابق في أعمال الخير، فهم أدوات تخريب وعوامل إفساد في المجتمع؛ لأن دعوتهم التي يدعون إليها تناقض دعوة الإسلام، والذي جاء لإصلاح الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، والذي حملهم على هذه الدعوة الهدامة جهلهم بحقيقة ما يدعو إليه الإسلام، ونظراتهم الضيقة المحدودة التي لا تتجاوز نطاق المصالح الفردية، ولذلك قال تعالى في وصفهم بعد هذا ﴿ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ ﴾ وقبض الأيدي يراد به الكف عن البذل، وضده بسط اليد، وقيل: قبض أيديهم عبارة عن ترك الجهاد، وفيما يجب عليهم من حق[48].

وقوله تعالى: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ﴾ أي: تركوا أوامره حتى صارت بمنزلة المنسي. ﴿ فَنَسِيَهُمۡ ﴾ فجازاهم على نسيانهم بحرمانهم من الثواب على ذلك في الآخرة.

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله تعالى والخضوع له، المنسلخون عن فضائل الإيمان الكاملون في الفسق فلا يستحقون الرحمة.

وقد أكد الله سبحانه وتعالى فسقهم، بالجملة الاسمية، وبـ (إِنَّ)، وقصرهم على الفسق بتعريف الطرفين، وبضمير الفصل (هم)، أي أنهم مقصورون على الفسق لَا يخرجون من دائرته فهو محيط بهم، إحاطة الدائرة بقطرها(49).

وقال السعدي: «حصر الفسق فيهم، لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديد»(50).

المتأمل في هذه الآية يجد أن الله عزَّ وجل جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقًا بين المؤمنين والمنافقين، فدلَّ على أن أخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالذي لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر فهذا من المنافقين؛ لأنهم بالعكس في ذلك.

فها هم اليوم يأمرون بالمنكر، بل يأمرون بكل منكر، ويدعون إليه، ويدعون المسلمين إلى أن يتخلوا عن دينهم، ويسمون التمسك بالدين تشددًا وغلوًا، فيقولون لا بد أن يترك المسلمون هذا، ولا بد أن تتمرد النساء ويتركن الحجاب... إلى غير ذلك من المنكر الذي يأمرون به.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الدين ،وهو صمام أمان، وعلامة نجاة الأمة، بل هو عنوان خيرية هذه الأمة ودليل فلاحها، قال جلَّ شأنه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ففي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تثبيت للأمن، وإشاعة للفضيلة، ومنع للرذيلة، وفيه دفع للعقوبات العامة، وعصمة من غضب الله، قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٧].

إن تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب لسخط الله ولعنته: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨ – ٧٩].

وإن تعطيل الأمر بالمعروف سبب للعذاب، جاء في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلاَ يُنْكِرُوهُ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللَّهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّة»[51].

وقال ﷺ «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا، ثُمَّ لَا يُغَيِّرُوا، إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ»[52].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض ولاته وعماله: أما بعد فَإِنَّهُ لم يظْهر الْمُنكر فِي قوم قطّ ثمَّ لم ينههم أهل الصّلاح مِنْهُم إِلَّا أَصَابَهُم الله بِعَذَاب من عِنْده أَو بأيدي من يَشَاء من عباده وَلَا يزَال النَّاس معصومين من الْعُقُوبَات والنقمات مَا قمع فيهم أهل الْبَاطِل واستخفي فيهم بالمحارم فَلاَ يظْهر من أحد محرم إِلَّا انتقموا مِمَّن فعله فَإِذا ظَهرت فيهم الْمَحَارِم فَلم ينههم أهل الصّلاح نزلت الْعُقُوبَات من السَّمَاء إِلَى الأَرْض على أهل الْمعاصِي وعَلى المداهنين لَهُم "[53].

ولذا كان لزامًا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه لو طوي بساط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتعطلت الشريعة، وعمت الغفلة، وانتشرت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد في البلاد، وهلك العباد.

الخاتمة:

تناول البحث صفات المنافقين التعبدية في سورة التوبة وكشف عنها وأبرزها؛ وذلك لكي يحذر منها المؤمنون.

وقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

1- إنَّ المنافقين في المجتمع المسلم هم أخطر عدوّ يسعى إلى تقويض هذا المجتمع، وبثّ الفرقة بين أفراده ولذا وجب الحذر من النفاق ومن المنافقين.

2- إن مما أبرزته الدراسة خطر النفاق، ومما يدل على ذلك إكثار القرآن الكريم من الحديث عنه وبيان أسبابه، وصفات أهله وأساليبهم وكل ذلك للتحذير منه.

3- من صفات المنافقين البارزة التثاقل والتكاسل في إتيان الصلاة؛ لأنهم لا يصلون رغبة في مناجاة الله وعبادته بل ليراهم الناس فهم في قيامهم إليها كسالى.

4- كشفت الدراسة عن شح المنافقين وكراهيتهم للإنفاق في سبيل الله. وهذه الصفة ظاهره فيهم بسبب حرصهم المعروف على دنياهم وعاجل أمرهم، فهم يبخلون بالمال ولا ينفقونه في سبيل الله لعدم إيمانهم به. وإنما ينفقونه تقية ورياء.

5- كذلك أظهرت الدراسة عن تثاقل المنافقين وتركهم للجهاد وخلقهم الأعذار الكاذبة من أجل التخلف عن القتال في سبيل الله؛ وذلك لأنهم لا إيمان لهم تام ولا يقين صادق فقلت رغبتهم عن الجهاد وجبنوا عن القتال.

6- أظهرت الدراسة صفة المنافقين في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف. وأنهم لا يحبون الخير بل نفوسهم خبيثة ترغب في الشر ونشره، فهم يشيعون المنكر بين الناس ويعيثون في الأرض فسادًا. يأمرون الناس بالكفر والمعاصي، وينهونهم عن الإيمان والطاعات.

الهوامش:

(1) صحيح البخاري: 4/ 1852 ، كتاب: التفسير ، (4600).

(2) ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل، لسان العرب:10/ 359.

(3) مقاييس اللغة: 5/ 455؛ القاموس المحيط: 926.

(4) غريب الحديث: 13/3؛ تهذيب اللغة: 156/9؛ تاج العروس: 26/ 432.

(5) جمهرة اللغة: 2/ 967؛ المحكم والمحيط الأعظم: 6/ 448؛ لسان العرب:10/ 359.

(6) النهاية في غريب الحديث والأثر: 5/ 98؛ تاج العروس من جواهر القاموس: 26/ 431.

(7) ينظر: مجموع الفتاوى: 524/7.

(8) صحيح البخاري ،1/ 21؛ كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (33)؛ صحيح مسلم: 1/ 78 كتاب الإيمان، باب خصال المنافق (107).

(9) صحيح البخاري:1/ 21، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (34)؛ وصحيح مسلم (1/ 78) كتاب الإيمان، باب خصال المنافق (106).

(10)النووي، محيي الدين يحيى بن شرف

(11) البخاري معلقًا في صحيحه كتاب الإيمان: 1/ 26.

(12)فتح الباري شرح صحيح البخاري: 1/ 110.

(13)ينظر: صفات المنافقين قبيل الحروب كما جاءت في القرآن الكريم: 22؛ التيسير بشرح الجامع الصغير: 1/ 52.

(14)أَي عَالم للْعلم منطلق اللِّسَان بِهِ لكنه جَاهِل الْقلب وَالْعَمَل فَاسد العقيدة. التيسير بشرح الجامع الصغير:1/ 52.

(15) مسند الإمام أحمد: 1/ 288 ، (143)؛ ابن حبان في صحيحه: 1/ 281 ،(80) المعجم الكبير: 18/ 237، (593)، قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: 1/ 445، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته: 44/2، (1550).

(16)سنن الدارمي: 1/ 44.

(17)ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: 223؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل: 2/ 91؛ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: 8/ 479.

(18)البداية والنهاية: 13/ 233.

(19)البحر المحيط في التفسير: 4/ 108.

(20)صحيح مسلم:1/ 451؛ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم (252).

(21)صحيح مسلم:1/ 451، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم (251).

(22) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: 5/ 456. وإسناده صحيح على شرط مسلم: رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الجبار بن العلاء، فإنه من رجال مسلم وحده. المستدرك على الصحيحين:1/ 317؛ صحيحُ ابن خُزَيمة:1/ 719، رقم (1485)، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: 12/ 188، (5847)؛ السنن الكبرى: 3/ 59، (5152) من طرق عن يحيى بن سعيد، بهذا الإسناد. وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع رواه البزار ورجاله ثقات. الفوائد: 2/ 52.

(23)صحيح مسلم: 1/ 453، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم (25).

(24)مسند أبي يعلى: 9/ 54، (5117). وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:10/ 221.

(25)جامع البيان عن تأويل القرآن:24/ 631.

(26) تفسير القرآن العظيم: 8/ 493.

(27)المصدر نفسه.

(28)في ظلال القرآن: 2/ 784.

(29)محاسن التأويل:5/434؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:340.

(30) زهرة التفاسير:7/3363.

(31) النكت والعيون: 2/ 379.

(32) صحيح سنن النسائي: 2/ 373، رقم (3110).

(33)جامع البيان:14/ 399.

(34) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 6/ 388.

(35)تفسير السعدي: 338.

(36)جامع البيان:14/287.

(37)تفسير السعدي:339.

(38)تفسير ابن كثير: 4/160.

(39) تفسير القرآن الكريم:304.

(40)جامع البيان: 14/400.

(41) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج:10/331.

(42) معالم التنزيل في تفسير القرآن: 347.

(43)تفسير ابن كثير: 4/ 163.

(44)المصدر السابق.

(45) زهرة التفاسير:7/3363.

(46) صفات المنافقين: 17.

(47)في ظلال القرآن:3/1673.

(48) الجامع لأحكام القرآن: 8/199.

(49) زهرة التفاسير:7/3364.

(50)تفسير السعدي:343.

(51)مسند الإمام أحمد: 29/ 258، رقم (17720). قال شعيب الأرنؤوط: والحديث حسن لغيره.

(52) صحيح سنن أبي داود: 3/35 ، (4338).

(53) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه:143.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م.
2. ابن السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ،2000م.
3. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1410 هـ.
4. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، صفات المنافقين، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات،1410هـ.
5. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.
6. ابن جرير الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1418 هـ، 1997م.
7. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ، 1988م.
8. ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

9. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط1، 1406هـ، 1986م.

10. ابن حنبل، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ، حققه وضبط نصه: السيد أبو المعاصي النوري وغيره، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط 1، 1419هـ - 1998م.

11. ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق، صحيحُ ابن خُزَيمة، حَققهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط3، 1424 هـ، 2003م.

12. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ط1، 1987م.

13. ابن رافع، عبد الله بن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط6، 1404هـ، 1984م.

14. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.

15. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ،1979م.

16. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408، هـ، 1988م.

17. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م.

18. ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل، لسان العرب، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار أحياء التراث العربي بيروت، لبنان ط3، 1419هـ، 1999م.

19. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي ، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

20. أبو زهرة، محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.

21. أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثُنى، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1404 ه، 1984م.

22. الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

23. الأسفراييني، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1977م.

24. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1419ه، 1998م.

25. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن النسائي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1419هـ، 1998م.

26. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، ط1، 1422هـ

27. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1.

28. البغوي، محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ.

29. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنات، ط3، 1424هـ، 2003م

30. الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين للحاكم، تحقيق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، القاهرة، مصر، 1417هـ، 1997م.

31. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط 1، 1407ه.

32. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

33. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.

34. السدحان، مديحة بنت إبراهيم بن عبد الله، صفات المنافقين قبيل الحروب كما جاءت في القرآن الكريم، مجلة جامعة الإمام العدد العاشر، شهر محرم، 1430هـ.

35. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1983م .

36. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة ، ط1، د.ت.

37. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط6، 1419 هـ، 1998م.

38. القاسم بن سلاّم، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله، غريب الحديث، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط1، 1384هـ،1964م.

39. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد ، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418ه.

40. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الرزاق المهدي دار الكتاب العربي بيروت ط1، 1418هـ، 1997م.

41. قطب، سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت القاهرة، ط10، 1402ه.

42. الماوردي، علي بن محمد بن محمد، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت. ط.

43. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، القشيري النيسابوري، إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام: ط 2، 1421هـ، 2000م.

44. المناوي ، زين الدين محمد، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط 3، 1408هـ، 1988م.

45. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392ه.

46. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، 1412هـ